﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾ [الإسراء: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد الإساءة للنِّعمة تقع النِّقمة عقوبةً وعذابًا

بعد أن ذَكَرتِ الآيةُ السّابقةُ إخبارَ التَّوراةِ لبني إسرائيلَ بأنَّهم سوف يُفسِدون في الأرض مَرّتين، وليَكونُنَّ منهم عُلوٌّ كبير، ناسبَ الشّروعُ في ذِكر المَرّتين مِنَ الإفسادَتين، وما مصيرُ بني إسرائيلَ فيهما، فَذَكَرتِ الآيةُ الإفسادةَ الأولى، وما حصل عَقِبَها مِن بعث عبادٍ أولي بأسٍ شديد؛ ليَقعَ العذابُ على بني إسرائيلَ، تأديبًا لهم، وعقوبةً على إفسادهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعۡدُ﴾: "الواوُ والعينُ والدّالُ: كلمةٌ صحيحة تدُلُّ على ترجيَة بِقول"[1]، والوعدُ يكون في الخير والشَّرّ، يقال: وعدتُهُ بنفع وضُرّ وعدًا وموعِدًا وميعادًا، والوعيدُ في الشّرّ خاصّة[2]، واستعمالُ الوعد في الآية دلالةٌ على المَوعد الّذي ضربه اللّهُ تعالى لبني إسرائيلَ، وهي المَرّة الأوّلى مِن إفسادهم في الأرض، أخرج اللّهُ لهم عبادًا يَردّونهم عن هذا الإفساد.

2) ﴿بَعَثۡنَا﴾: "الباءُ والعَينُ والثّاءُ أصلٌ واحِد، وهو الإثارةُ، ويُقالُ: بعثتُ النّاقةَ: إذا أَثَرْتَها "[3]، و"أصل البَعْث: إثارةُ الشّيءِ وتوجيهُهُ، يقال: بَعَثْتُهُ فانبعثَ، ويختلف البَعْثُ بحسب اختلافِ ما عَلِقَ به"[4]، ولمّا كان إفسادُ بني إسرائيلَ كبيرًا، وعتوُّهُم شديدًا، أخبر ﷻ أنّه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(2) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعث).
(4) الرّاغب، المفردات: (بعث).

سيبعثُ عليهم عِبادًا أَشِدّاءَ يستأصِلون شَأْفَتَهم، ويَهدمون قُدْرَتَهم، وجعل اللّهُ ذلك بَعْثًا بإثارةٍ وتحريكٍ يُزَلْزِل قِواهم ويُدَمِّرُهم.

3) ﴿بَأْسٍ﴾: الباءُ والهَمزةُ والسّينُ أصل واحِد، وهو الشِّدّةُ وما ضارعها، فالبأسُ: الشِّدّةُ في الحربِ، ورجُل ذو بأس وبئيس، أي: شُجاع[1]، "والبُؤْسُ والبَأْسُ والبأساءُ: الشّدَّةُ والمَكْروه، إلّا أنّ البُؤْسَ في الفقر والحَرْب أكثر، والبَأْسَ والبأساءَ في النّكاية، نحو: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النّساء: 84]"[2]، وجاء التّعبيرُ بلفظ (بأس) دلالةً على قوّةِ هؤلاء العِباد وشِدّتِهم مع هؤلاء المُفْسِدين؛ لتُناسِبَ القوّةُ القوّةَ، والشِّدّةُ الشِّدّةَ.

4) ﴿فَجَاسُواْ﴾: "الجيمُ والواوُ والسّينُ أصل واحِد، وهو تخلُّلُ الشّيءِ، يُقالُ: جاسوا خِلالَ الدّيارِ يَجوسون، قال اللّهُ تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾"[3]، "وجاسوا: توسّطوها وتَردَّدوا بينها، ويقارب ذلك: جازوا وداسوا، وقيل: الجَوْسُ: طلبُ ذلك الشّيء باستقصاء[4]، وَرَدَ التّعبيرُ تصويرًا بتوسُّطهم الدّيارَ المُقَدّسة وتَردُّدهم فيها؛ بحثًا عن هؤلاء المُفسِدينَ، فجاسوها وداسوها للوصول إلى هؤلاء؛ للقضاء عليهم وإهلاكهم.

5) ﴿خِلَٰلَ﴾: الخاءُ واللّامُ أصلٌ واحِد يتقاربُ فروعُهُ، ومرجِعُ ذلك إمّا إلى دِقّة أو فُرجَة، والبابُ في جميعِها مُتقارِب، فالخِلالُ واحِدُ الأَخِلّة، ويُقالُ: فُلانٌ يأكُلُ خِلَلَهُ وخُلالَتَهُ، أي: ما يُخرِجُهُ الخِلالُ مِن أسنانِه[5]، فالخَلَل: فرجةٌ بينَ الشّيئين، وجمعه: خِلال، كخَلَل الدّار، والسّحاب، والرّماد، قال تعالى في صِفة السّحاب: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النّور: 43][6]، والمراد بخِلال الدّيار: أَزِقَّتُها ومَداخِلُها ومَخارِجُها.

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

تُبيِّن الآيةُ وقتَ موعِدِ "أُوْلَى المَرّتين مِنَ الإفساد، فإذا جاء وَعْدُ الفُسّاقِ وَوقتُ العقابِ المَوعودِ به على المَرّة الأولى، سلّطنا عليكم جُندًا مِن خَلْقنا أُولي بأسٍ شديد

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بأس).
(2) الرّاغب، المفردات: (بؤس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جوس).
(4) الرّاغب، المفردات: (جاس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلّ).
(6) الرّاغب، المفردات: (خلّ).

- أي: قوّةٍ وشِدّةٍ - وأصحابِ عُدّةٍ في الحُروب وعدد، وهم أهلُ بابلَ بقيادة بختنصّر، حين كَذّبوا إرمياءَ وجَرحوه وحَبَسوه، فجاسوا خِلالَ الدّيارِ، أي: أَوغَلوا في البلاد وتَملّكوها، وتَرَدَّدوا فيها وفي أوساطها ذهابًا وإيابًا، لا يخافون أحدًا، يقتلون ويَسْلُبون ويَنْهَبون، ويقتلون العُلماءَ والكُبراء، وكان مِن آثارهم إحراقُ التّوراة، وتخريبُ بيتِ المَقْدِس، وسَبيُ عددٍ كثير مِن بني إسرائيلَ، وكان ذلك وَعْدًا مُنْجَزًا نافذًا، وقضاءً كائنًا لا خُلْفَ فيه، أو قضاءً حتمًا جزمًا لا يقبل النّقضَ والنّسخَ؛ لأنّهم تَمَرَّدوا وقَتَلوا خَلْقًا مِنَ الأنبياء والعلماء".

وعدُ الله تعالى لا يتخلّف، فإذا جاء لا يُؤْلَف

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاءِ ودلالتُها التَّعقيبيَّة:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ عاطفةٌ، ومعناها التّعقيبُ، والتّعقيبُ في كلِّ شيء بحسبه، والمراد هنا: أنَّه بعدَ وقوع الإفسادِ والعلوِّ مِن هؤلاء أرسل اللّهُ تعالى عليهم عقابَه بهؤلاء الّذين يجوسون خلالَ ديارهم، ويستأصلون شأفَتَهم، فالجزاءُ مِن جِنس العمل، والتّعقيبُ على ما بَعُد في العادة، لا على سبيل المضايقة.

إذا حان وَعْدُ اللهِ فلا خُلْفَ له ولا تَأَخُّر

دلالةُ التّعبير بالظّرف (إذا):

تُستعمَل (إذا) في الأمر المَقطوعِ بوقوعه، وهي ظَرفٌ لِما يُستقبَل مِنَ الزّمان، وجيءَ بها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؛ لأنَّ المَجيء مُتَحَقِّقٌ مقطوعٌ به.

المَجيءُ واقعٌ مقطوعٌ تَحَقُّقُه

دلالةُ التّعبير بالمَجيء دونَ الإتيان:

استُعمل الفعلُ ﴿جَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ دون أتى؛ ذلك لما يوحيهِ هذا الفعل مِنَ القوَّة والتّجسيد وتَحَقّقِ الحصول، فإنَّ "المَجيء كالإتيان، لكنّ المَجيءَ أَعَمّ؛ لأنّ الإتيان

مَجيءُ وَعْدِ اللهِ تعالى قويٌّ قَرْعُه، كبيرٌ أَثَرُه

مَجيءٌ بسُهولة، والإتيان قد يُقال باعتبار القَصْد وإن لم يكن منه الحصول، والمَجيء يُقال اعتبارًا بالحصول، ويُقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مَجيئُه بذاته وبأمره، ولمَن قَصَد مكانًا أو عملًا أو زمانًا"[1].

بلاغةُ المَجازِ بِحَذْفِ المضاف:

عقابُ الله تعالى مُحَقّق للّذين يُخالِفون أَمْرَه

جاء التّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ على حَذْف المُضاف وإقامة المُضاف إليه مُقامَه، قال الزّمخشريُّ:" فإن قُلتَ: ما معنى ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؟ قلتُ: معناه وَعْدُ عقابِ أولاهما"[2]، مبالغةً في مَجيء هذا العقابِ الموعود، والمرادُ: موعودُ أولى المَرّتين، وهو الزّمانُ أو الوقتُ المُحَدَّد الّذي قَدَّرَهُ اللّهُ تعالى لوقوع المَرّة الأولى مِنَ الإفساد والعُلوِّ.

معنى إضافةِ ﴿وَعْدُ﴾ إلى ﴿أُولَىٰهُمَا﴾:

أُضيف الوَعْد إلى أولى المَرّتين؛ لأنّه بمنزلة البيان في تعيينهما، قال ابن عاشور: "وإضافةُ ﴿وَعْدُ﴾ إلى ﴿أُولَىٰهُمَا﴾ بيانيّة، أي: المَوعودُ الّذي هو أولى المَرّتين مِنَ الإفسادِ والعُلوِّ"[3].

معنى البعث في قوله: ﴿بَعَثْنَا﴾:

عقابُ اللهِ تعالى قَـــويٌّ شَـديـدٌ، وَوَعْـــدُهُ نافذ محقّق

أصلُ البَعْث: إثارةُ الشّيء وتحريكُه بقوّةٍ، وتوجيهُهُ إلى حيثُ يريد الباعثُ له ذلك، فهو مِنَ الإثارة والتّيسير، وفيه معنى القوّة والنّفاذ، وهل البعثُ على حقيقته الاصطلاحيَّة، أو المرادُ به المعنى اللّغويّ؟ يحتمل أن يكون اللّهُ "بعثَ إلى مَلكِ تلك الأُمّة رسولًا يأمُرُه بغَزوِ بني إسرائيلَ، فتكون البِعْثَةُ بأمر، ويحتمل أن يكون عبَّر بالبعث عمّا أُلْقِيَ في نفس المَلك الذي غزاهم"[4]، فالبعثُ مُستعمَل في

(1) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 438.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 30.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 242.

"تكوين السّير إلى أرض إسرائيل، وتهيئة أسبابه، حتّى كأنّ ذلك أمرٌ بالمَسير إليهم، كما مرّ في قوله: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [الأعراف: 167]، وهو بَعْثُ تكوينٍ وتسخيرٍ، لا بعثُ بوحي وأمر"[1].

بلاغةُ التَّضمينِ في تعديَة فعلِ البَعثِ بحَرف الاستعلاء:

تضمينُ البَعثِ معنى التّسليط

حرف (على) يُفيد الاستعلاءَ حقيقةً أو مَجازًا، والمراد بالبعث في قوله: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ أنّه تعالى سَلّطَ عليهم هؤلاءِ العبادَ؛ ليَرُدّوهم عن غَيِّهم وفسادِهم، فالاستعلاءُ هنا مَجازيّ؛ لكونه مُرادًا به التّسليطُ، وهو يعني الغَلبةَ والقَهْرَ، كما يُظْهِرُ الإنسانُ ذنبَه الّذي يَرتكبُه، وهؤلاء قد منحَهم سُلطةَ الغَلَبةِ على هؤلاء، "وتعديةُ ﴿بَعَثۡنَا﴾ بحرفِ الاستعلاءِ لتضمينِه معنى التّسليط، كقولِه: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [الأعراف: 167]"[2].

دلالة التّعبيرِ بالماضي ﴿بَعَثۡنَا﴾:

إيناسُ المَظلومين وطَمأنَتُهم بتَحَقُّقِ نَصْرِ الله

ورد التّعبيرُ بالماضي لتَحَقُّق البعثِ وحُصولِه، وكَونِه واقعًا لا محالةَ، وفي التّعبير بلفظ الماضي إيناسٌ وطَمْأنَةٌ لهؤلاءِ المظلومين، الّذين وقعوا تحتَ إفساد المُتَجَبِّرين مِن بني إسرائيلَ، بأنّ الغلبة ستكون للمَظلومين وإن طال أَمَدُ ذلك، أي: إذا جاء في المستقبل وَعْدُ الآخرة، تَحَقّقَ الوعدُ لا محالة.

نُكْتَةُ إسنادِ الفعل إلى ضمير العَظَمة:

عَظَمَةُ البعثِ مِن عَظَمة الباعِث

أُسنِد فعلُ (بعث) إلى نون العَظَمة؛ لأنَّه يُرادُ به تعظيمُ الباعثِ، وهو الله تعالى، مع تحقيق الإيجازِ اللّفظيّ بالنّون، فهو أوجزُ مِن أن يقال: بعث اللّهُ، والإيجازُ في موطنه دالّ على المُراد.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 30.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 30.

دلالة تقديم الجارِّ والمَجرور على المفعول:

ما أصابكم مِن مصيبة فبما كسبت أيديكم

أفاد تقديمُ الجارِّ والمَجرور في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا﴾ على المفعول التّخصيصَ، والمراد: بعثنا عليكم لا على غيركم؛ لكونكم المخصوصين بهذا البَعثِ دونَ سِواكم، ومقصودُ التَّخصيصِ إظهارُ شَديدِ الغَضَبِ عليهم، فإنَّ المُعاقِبَ إذا أراد مُعاقَبةَ الظّالمِ بشِدَّةٍ، أتى له بألفاظ تَدلّ عليها، فكأنَّ البعثَ قد سُلِّط عليهم تسليطًا لم يكن لغيرِهم.

معنى الجمعِ بصيغة: ﴿عِبَادًا﴾:

العبوديّة لله سبحانه غايةُ المُنى وذروةُ مبتغى أهل الإحسان

هناك فَرْقٌ بين عِبادِ اللّهِ، والعبيدِ المملوكين، يُقالُ: هذا عبدٌ بيِّنُ العُبودةِ، وأمّا عَبَدَ يَعْبُدُ عِبادةً، فلا يُقالُ إلّا لِمَن يَعْبُدُ اللّهَ تعالى[1]، "والعِبادُ: المَملوكون، وهؤُلاءِ عِبادُ مخلوقيّةٍ، وأكثرُ ما يُقالُ: عِبادُ اللّهِ، ويُقالُ: عبيد، بِدونِ إضافة، نحوُ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: 46]، فإذا قُصِد المَملوكون بالرِّقِّ قيل: عبيدٌ، لا غيرُ، والمقصودُ بِعبادِ اللّهِ هُنا الأشوريّون، أهلُ بابِلَ، وهُم جُنودُ بُختُنّصّرَ"[2].

دلالة تنكير ﴿عِبَادًا﴾:

المقصود بالعِباد نوعٌ يقوم بتأديب الفاسدين بصفاتٍ خاصّة

تنكير ﴿عِبَادًا﴾ للتّكثير والتّعظيم، فالتّكثير يكون في الكَمّيّة ممّا يُخيفُ الظّالمين، والتّعظيمُ للكَيْف في كونهم عبادًا، بعثَهُمُ اللّه تعالى للقيام بالتّأديب كما يقوم العِبادُ المُخلِصون سواءً بسواء، لا تَردُّهم غائلةٌ عمّا أُمِروا به، وقد يكون التّنكيرُ للنّوعيّة، والمُرادُ بهم عبادٌ مِن نوعيّة خاصّة، بكونهم ذَوي بأسٍ شديدٍ، لا يهابون شيئًا، ويهابُهم غيرُهم.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بـ: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾:

عبادُ الله لا ينظرون إلى غيره، ولا يتعلّقون بسواه

الفرق في التّعبير بين ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾، و(عبادنا)، أنَّ الأولى تُفيد أنَّهم عبادٌ يقومون بأعمالٍ لله تعالى، سواء بتسخيرِهم لذلك، أو

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 31.

باختيارِهم، أمّا الثّانية فهي معذوقةٌ بسياقها كي يُعْرَف معناها، فقد تكون الإضافة بمعنى (من)، وقد تكون بمعنى اللّام، فمعناها مُتعلّق بالسّياق الواردة فيه، وأمّا ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ فمعناها مُحَدَّدٌ في هذا السّياق، وهو أنّهم يَجوسون خلالَ الدّيار؛ لتحقيق مَقْصِدٍ يُريده اللّهُ تعالى، ولو قيل في هذا السّياق: (عبادنا) لكانت بمعنى (اللّام)، ولاحتملت أن تكون بمعنى (من)، فَعَبّر بـ (عباد) إشارةً إلى أنّهم خاضعون لإرادة اللّه تعالى فيهم، وإضافتهم له ﷻ بما يُفيد الاختصاص؛ لجَعْلهم له لا لأجل العُبوديّة والطّاعة، بل ليكونوا آلةَ تأديبٍ وتهذيبٍ لمَن يَخرجون عنِ الهداية ويقعون في الفساد[1].

دلالةُ تقديمِ الجارّ والمَجرور:

تخصيص العبادِ بالله تعالى

أفاد تقديمُ الجارّ والمَجرورِ ﴿لَّنَآ﴾ التّخصيصَ، أي: لنا لا لغيرنا، ومعنى التّخصيصِ: إثباتُه لمُسْنَدِه ونَفيُه عن غيره، ومن هنا يُقدّم.

سِرُّ التّعبيرِ بقوله: ﴿أُوْلِى﴾:

المتّصف بالصّفة أقوى من مصاحبها

﴿أُوْلِى﴾: اسمٌ مُبْهَم، بمعنى أصحاب يطلق على جماعةِ الذُّكور، ولا واحدَ له مِن لَفْظِه، والتَّعبيرُ به أبلغُ من التَّعبير بلفظةِ أصحاب، فكأنّ البأسَ صار شيئًا مُتأصِّلًا فيهم لا يفارقُهم، فهُم ذَوو بأسٍ وجَلَدٍ وقوّة، وأمّا الأصحابُ فهُم المُلازِمون للعِناية وقد تفارقهم، ولا تقال المُصاحبة إلّا لمَن كَثُرت مُلازمتُه لهذا، فالمُتّصف بالصِّفة أقوى مِن مصاحبها.

دلالةُ التّعبير بالبأس دونَ القُوّة:

البَأْس مخصوصٌ في الحَرب، بخِلاف القُوّة فهي أشمل

جاء التَّعبيرُ بالبأس في قوله تعالى: ﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، والبَأْسُ: هو الشِّدّة في الحَرْب، أمّا القوّة فتُستعمَل تارةً في معنى القوّة، وتارةً للتّهيُّؤِ المَوجود في الشّيء، فالبأْسُ إذًا أشملُ وأعمُّ؛ لكونه خاصًّا بالحرب مع

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4335.

اقترانه بكونه شديدًا، فأدّى معنًى أبلغَ مِنَ القوّة؛ لأنّ القوّة لو كانت وَحْدَها كافيةً ما قال قومُ بلقيس: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النّمل: 33]، فكأنّ القوّة بنفسها لا تكفي، فَقُرِنت بالبَأْس الشّديد لهذا.

معنى الفاء ودلالتُها:

أُغْـقِـبَ البعثُ التّخَلّلَ في الدّيار

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ﴾ عاطفةٌ تعقيبيّةٌ لهذا الفعل بلا مُهْلَة، وعطفت الفاء جملةَ ﴿فَجَاسُواْ﴾ على جملة ﴿بَعَثْنَا﴾؛ لأنّ هذا ممّا قضاه اللّهُ تعالى في الكتاب الّذي آتاهُ موسى عليه السلام.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿فَجَاسُواْ﴾ ماضيًا:

يختصُّ الجَوْسُ بـالإحـاطـة لإلحاقِ الدّمار على المُفسدين

الجَوْسُ: هو تَخَلُّل الشّيءِ ودَوْسُه وطَلَبُه باستقصاءٍ وتتبُّع؛ للإحاطة بما فيه مَجيئًا وذهابًا، لترتَسِمَ معالِمُه في النُّفوس، أمّا التّردُّد: فلا يُحاط فيه بشيء من خباياه، فالجَوْسُ أبلغُ مِنَ التّردُّد، قال الطّاهر بن عاشور: "والجَوْس: التّخلُّلُ في البِلادِ وطَرْقُها ذِهابًا وإيابًا لِتتبُّع ما فيها، وأُريد بِهِ هُنا تتبُّعُ المُقاتِلَة، فهو جَوْسُ مَضَرّةٍ وإساءةٍ بِقرينةِ السّياقِ"[1]، والتّعبير بلفظ الماضي دالّ على تَحَقُّق وقوعِ فِعْلِ الجَوْسِ وحصولِهِ، تنزيلًا لما هو مُتَحَقِّقُ الوقوعِ كالواقع.

دلالةُ التّعبيرِ بكلمة ﴿خِلَالَ﴾:

خـلال الـدِّيـار تستغرق البلدَ كـامـلًا بـخِـلاف الوسط

آثَرَ النّظمُ القُرآنيُّ التّعبيرَ بـ ﴿خِلَالَ﴾ لا بلفظ (وسط)، والخَلَل: فُرجَة بين الشّيئين، وجمعه: خِلال، كخَلَلِ الدّار والسّحاب، أمّا وَسْطُ الشَّيءِ: فما له طرفان متساويا القَدْرِ، ويقال ذلك في الكَمّيَّة المُتّصلة كالجِسم الواحد إذا قلتَ: وَسَطُهُ صلب[2]، والمعنى المراد من الكلام هنا: هو التّخلّلُ وليس التّوسُّطَ، إذ إنّ معنى الوَسَطِ على هذا هو ما يتخلّل الشّيءَ مِن أيِّ طَرفٍ فيه، وهو المُرادُ مِنَ الجَوْس في الآية، لما يتضمَّنُه مِن دلالة التّمْكينِ بالسّيطرة على الأرض والانتشارِ فيها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 31.
(2) الرّاغب، المفردات: (خلّ، وسط).

نُكْتَةُ التّعبير بـ﴿ٱلدِّيَارِ﴾ دونَ البِلاد أو البيوت:

جَوْسُ المُفسدين كـان لجـميـعِ ديـارهـم دونَ استثناء

استعمل النّظم الدّيارَ دون البيوت، أو البلاد، وذلك لأنَّ الجَوْس كان خلالَها، فأتى عليها دارًا دارًا، وهذا أدَلُّ على الاستغراق والشّمول، والملحوظ في لفظ الدّار ما يُدار حولها، في حين أنّ البيوت هي المكان المُعدّ للبيات، فالتَّعبير بالدّيار أَدلُّ على المُراد، ولم يقل: البلاد؛ لأنَّ الدّيار أدلّ على الجُزء؛ فإنَّ الإتيان على أجزاء البلد الواحد جُزءًا جُزءًا أشملُ مِنَ الإتيان على البلد بالكلّيّة، فكان التَّعبير بالدّيار هو الأبلغَ في هذا السّياق.

نوع التَّعريف في ﴿ٱلدِّيَارِ﴾:

المقصود بالدِّيارِ ديـــــارُ بـنـي إسرائيلَ في بيت المقْدِس

التّعريف بـ (أل) في لفظ ﴿ٱلدِّيَارِ﴾ للعهد العِلْميِّ أو الحُضوريِّ، لعدم سبق ذِكْرٍ للمُعَرَّف بـ (أل) لا تصريحًا ولا كناية، ولكنّه مقصودٌ مِنَ النُّطق به، فعُلِمَ المقصودُ منه، وقد تَمّ إحضارُه في الذِّهن إحضارًا تامًّا، قال الطّاهر بن عاشور: "والتّعريفُ في الدّيارِ تعريفُ العهدِ، أي: ديارِكُم، وذلِك أصلُ جعلِ (أل) عِوضًا عنِ المُضافِ إليهِ، وهي ديارُ بلدِ أورشليم فقد دخلَها جَيشُ بُختُنصّرَ وقتل الرِّجال وسبى، وهَدَم الدّيارَ، وأحرق المدينةَ وهيكلَ سُليمان بِالنّارِ"[1].

معنى الواو ودلالتُها:

وقـــوعُ الـفـعـلِ تَحَقُّقٌ للوعد

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ عاطفةٌ لجملة كينونةِ حصولِ وَعْدِ الله تعالى، على جملة: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾، مِن قبيل وصل الجُملَتين؛ لاتفاقهما في الخبريّة، وبينهما جهة جامعةٌ تُسوِّغ هذا العمل.

دلالةُ ذِكْرِ فعل (كان):

وَعْدُ اللهِ واقعٌ لا يتخلَّف

(كان) فعل ماضٍ دالٌّ على تحقُّق وقوع الفعل وحصوله، وهي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 31.

مفيدةٌ وقوعَ وعدِ اللّه تعالى بالانتقام مِنَ المُفسدين، وهي تفيد المُضيَّ والتّوكيد؛ لكون ما يتعلّق بها واقعًا لا محالة، وهي مفيدةٌ معنى القُدْرة، وهو أنّ اللّه تعالى قادر على إنفاذ وَعْدِه، لا يُراجعُه فيه أحدٌ البَتّة.

نُكْتَةُ التّعبير بالمصدر ﴿وَعْدًا﴾:

التسليطُ قضاءٌ حتميٌّ

ورد التّعبير بالمصدر ﴿وَعْدًا﴾ عن اسم المفعول (موعود) مبالغةً في مَجيء الوعد، والمعنى: كان ذلك التّسليط قضاءً حتميًّا، وهذا هو الوعد، وهو أقوى في استعماله مِن اسم المفعول.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿مَّفْعُولًا﴾:

لا حـائـلَ بين قضاء الله وبينَ إنفاذه

يُستعمَل المفعولُ إذا عُبِّر بفعل الفاعل؛ لأنَّ كلَّ مفعولٍ لا بدَّ له من فاعل، والمراد به: إيجادُ الوعدِ وحصولُه، فلا يَردُّه أحد، قال البقاعيُّ:" أي: لا شَكّ في وقوعه، ولا بُدّ أن يُفعَل، لأنّه لا حائلَ بيننا وبينَه، ولا يُبَدِّلُ القولَ إلّا عاجزٌ أو جاهل"[1].

دلالةُ حَذْفِ اسمِ كان:

بـيـانُ المَـذكـورِ مَظِنّةُ الاستغناء

حُذِفَ اسمُ كان هنا، والتّقدير: (وكان الجَوْسُ وعدًا مفعولًا)؛ لكونه معلومًا مِن سياق الكلام في قوله: ﴿فَجَاسُواْ﴾؛ فلا داعيَ لذِكْره حينَئِذٍ ما لم يكن وراءَ ذلك نُكْتَة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المجيء والإتيان:

المجيءُ أعـمُّ من الإتيان ويُقال في المعاني والأعيان

المجيءَ يُقال اعتبارًا بالحصول، وهو أعمُّ من الإتيانِ؛ إذ يُقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا، وقال أبو هلال: "قولُكَ: جاء فلانٌ، كلامٌ تامٌّ لا يحتاج إلى صلة، وقولك: أتى فلانٌ، يقتضي مَجيئَه بشيء،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 298.

ولهذا يقال: جاء فلانٌ نفسُه، ولا يقال: أتى فلانٌ نفسُه، ثمّ كَثُر ذلك حتّى استُعمِل أحدُ اللّفظين في موضع الآخر"، وقال الزّركشيّ: "ومِن ذلك: جاء وأتى، يستويان في الماضي، ويأتي أخَفُّ مِن يَجيء، وكذا في الأمر: (جيْئوا بمثله) أثقلُ مِن (فأتوا بمثله)، ولم يذكرِ النَّظْم القرآني إلّا ﴿يَأْتِيَ﴾ [البقرة: 109] و﴿يَأْتُونَ﴾ [الإسراء: 88]، وفي الأمر: ﴿فَأْتِ﴾ [البقرة: 258]، ﴿فَأْتِنَا﴾ [الأعراف: 70]، ﴿فَأْتُواْ﴾ [البقرة: 23]؛ لأنّ إسكان الهمزة ثقيلٌ لتحريكِ حروفِ المَدّ واللّين، تقول: جِئْ أثقلُ مِن ائتِ"[1].

الْبَعْث والإرسال:

الإرسـالُ غايتُه إيصالُ رسالةٍ، والبـعـثُ إثـارةٌ واستنهاض

الفرق بينَ البعث والإرسال: أنّه يجوز أن يبعث الرّجل إلى الآخَر الحاجةَ يَخُصّه دونكَ ودونَ المبعوثِ إليه، كالصّبيّ تَبعثُه إلى المكتب فتقول: بعثْتُه، ولا تقول أرسلته؛ لأنّ الإرسال لا يكون إلّا برسالة وما يجري مَجراها، و"البعثُ لا يكون حملًا، ويستعمل فيما يعقل دون ما لا يعقل، فتقول: بعثت فلانًا بكتابي، ولا يجوز أن تقول: بعثت كتابي إليك، كما تقول: أنفذت كتابي إليك، وتقول: أنفذت إليك جميع ما تحتاج إليه، ولا تقول في ذلك: بعثت، ولكن تقول: بعثت إليك بجميع ما تحتاج إليه؛ فيكون المعنى: بعثتُ فلانًا بذلك"[2]، فالمُرسَلُ يكون حامِلًا لرسالة، وغايَةُ إرساله هي إيصالُ تلك الرّسالة، التي عادةً ما تكون ذاتَ قيمةٍ وأهميّة بالنّسبة إلى المُرسَلِ إليهم، وهذا على خِلاف المَبعوث؛ إذ إنّ المَبعوث قد يُبعَثُ لذاته ولا يحمل أو يصاحبه شيء، والمبعوثُ مُستنهَضٌ للقيام بالفعل.

(1) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 80.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 284.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»